العنوان:	محاضرات الشيخ محمد متولي الشعراوي في الكويت عام 1394 هـ. الموافق 1974 م.: المحاضرة الأولى
المصدر:	الوعي الإسلامي
الناشر:	وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية
المؤلف الرئيسي:	البيومي، محمد رجب، ت. 2011 م.
المجلد/العدد:	س59, ع683
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	2022
الشهر:	مارس
الصفحات:	12 - 19
رقم MD:	1327395
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	المحاضرات الدينية، الوعي الإسلامي، التربية الإسلامية، الشعراوي، محمد متولي، ت. 1419 هـ.
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/1327395

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

البيومي، محمد رجب. (2022). محاضرات الشيخ محمد متولي الشعراوي في الكويت عام 1394 هـ. الموافق 1974 م.: المحاضرة الأولى.الوعي الإسلامي، س59, ع683، 12 - 19. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1327395

إسلوب MLA

البيومي، محمد رجب. "محاضرات الشيخ محمد متولي الشعراوي في الكويت عام 1394 هـ. الموافق 1974 م.: المحاضرة الأولى."الوعي الإسلاميس59, ع683 (2022): 12 - 19. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/1327395

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

محاضرات الشيخ محمد متولي الشعراوي في الكويت

عام ١٣٩٤ هـ الموافق ١٩٧٤م

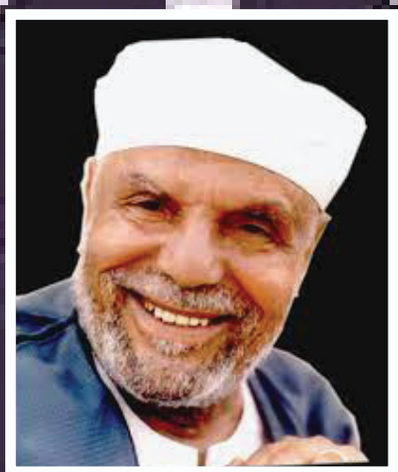

بدءًا من هذا العدد تقدم مجلة الوعي الإسلامي لقرائها في العالم كله مجموعة محاضرات تربوية وثقافية وتوجيهية شهرا بعد شهر أسداها فضيلةُ الشيخ محمَّد متولِّي الشَّعراويُّ . رحمه الله . أثناء زيارته الميمونة إلى الكويت، في شهر رمضان عام (١٣٩٤هـ)، الموافق لشهر سبتمبر لعام (١٩٧٤م)، بدعوة من وزارة الأوقاف والشُّؤون الإسلاميَّة، حيث حلَّ الشَّيخ الشَّعراويُّ ضيفًا عزيزًا على الكويت وأهلها، وألقى رحمه الله خلال هذه الزِّيارة محاضرات إيمانيَّة في العديد من مساجد الدَّولة والجمعيات الخيرية، وأخرى تعليميَّة في عدد من مدارس وزارة التَّربية، وأخرى توجيهيَّة وإرشاديَّة في الكليَّة العسكريَّة بدعوة من وزير الدَّاخليَّة والدِّفاع آنذاك سمو الشيخ سعد العبد الله الصباح رحمه الله.

وبقيت هذه المحاضرات محفوظة في أشرطة مسجَّلة منذ ذاك الوقت حتَّى اعتنى بتفريغها وإخراجها في مكتبته العامرة توثيقًا للزيارة وللمادة العلمية، العمُّ الفاضل فهد الجارالله رحمه الله تعالى، وجلعها الله في ميزان حسناته، ثمَّ خصَّ ابنُه الأخ الدكتور خالد الجار الله مجلَّة الوعي الإسلامي بنسخة منها، فجزاهما الله خير الجزاء، وقد اعتنت أسرة تَّحرير المجلة بها وأعدتها للنَّشر، في مقالات متسلسلة، لقيمتها العلميَّة والدَّعويَّة، ولمكانة مُلقيها فضيلة الشَّيخ محمَّد متولي الشَّعراوي، المتوفَّى سنة (١٤١٩هـ)، وقد كتب هذه التَّرجمة الوافية المرفقة للشَّيخ الشَّعراوي فضيلةُ الأستاذ الدَّكتور محمَّد رجب البيومي رئيس تحرير مجلَّة الأزهر سابقًا، رحمه الله تعالى.

المحاضرة الأولى

محاضرة الشيخ محمد متولي الشعراوي
في مسجد عبدالله العثمان
بتاريخ (١٨/ ٩/ ١٩٧٤م) الموافق (٢) رمضان (١٣٩٤هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، ومن أولى بالحمد منه وهو رب العالمين؟! سبحانه، نعتز بالعبودية له؛ لأنه الرحمن الرحيم، عنه صدر الكون كله، وإليه يعود الكون؛ لأنه مالك يوم الدين، اللهم كما خصصناك بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ فأعنا بـ ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، حتى تجعلنا من أهل صراطك المستقيم ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد، أذن الخير التي استقبلت آخر إرسال السماء لهذه الأرض، ولسان الصدق الذي بلغ عن الحق منهجه للخلق، وبعد:

فسبحانك ربي لا علم لنا إلا ما علمتنا، لا يلام متكلم إن قصر، ولا يمدح متكلم إن أجاد، إنما هي أرزاق السامعين، يجريها الله على ألسنة المتكلمين، وإذا كنا هذه الليلة نلتقي تحت لواء الإسلام في بلد إسلامي، وفي زمان كرمه الله، فأنزل فيه القرآن، وفي مكان هو بيت من بيوت الله، فقد اجتمعت خصائص الخير والحق والجمال، وإنه لحديث في الله، لزمان كريم على الله، في بيت منسوب إلى الله، وإذا كانت مساجد الله في الأرض جميعها بيوتا لله فمعنى ذلك أنها الأمكنة التي خصها خلق الله؛ حتى لا يفعلوا فيها شيئا إلا عبادة الله، وبقية الأرض لهم مشاع، يعملون فيها زراعة وتجارة وصناعة وتعليما، ولهم أن يصلوا فيها، أما إذا حجرنا مكانا، وحولناه بيتا لله فلا يجب أن يقام فيه شيء إلا عبادة الله، وبذلك تكون النسبة في المكان إلى بيت الله أنه لا يزاول فيه عمل إلا عبادة الله، ولذلك تخفق كثير من الصفقات التي تعقد في المساجد، ويخفق الأمر الدنيوي الذي يتكلم فيه في المساجد، فإذا كلمك إنسان في أمر يتعلق بدنياه في بيت الله فاحكم بأن الأمر مخفق ولا بركة فيه؛ لأن رسول الله دعا ألا يبارك الله في صفقة تعقد في المسجد؛ لأنه الزمن اليسير الذي أخذه الله منك من الزمن كله؛ لتتصرف إليه وحده، وبقية الأزمان مملوكة لك خارج البيت تفعل فيها ما تشاء، فإذا كان وقت الصلاة الذي تحضر فيه في المسجد لا يتطلب منك في اليوم كله إلا ساعة، فما أخذه الله من زمانك يعادل ساعة، ثم ترك لك (٢٣) ساعة، أتشارك الله في الساعة التي جعلتها له؛

العم فهد حمود الجار الله رحمه الله

أ.د. خالد الجار الله

لتجعل نصيبا لك فوق (٢٣) ساعة، وتستكثر ساعة لوقوفك بين يدي ربك؟! ذلك هو بيت الله كما يجب أن يكون، اعتكاف فيه تلقي الفروضات، وأسرار من الحق؛ لأنك صنعة الله، والصنعة حين تكون بين يدي صانعها لا يترك فيها خللا، إن أي صناعة توضع بين يدي مهندسها الذي صنعها لاشك في أنه سينظر فيها بعين الإصلاح والتقويم، ويصلح فيها الخلل، لكن صانع البشر مادي، فهو يصلحها بأشياء مادية، لكن الحق يصلحك بأسرار الغيب في ذاته، فلا تدر ماذا صنع الحق فيك وأنت بين يديه، فتخرج مستقر النفس، مستريح القلب، هادئ البال، نافضا عن نفسك أغلال الحياة كلها، ماذا يراد من صنعة الله صفاء غير هذا؟! وإذا كانت بيوت الله هذه أمكنة خصها خلق الله؛ حتى لا يذكر فيها إلا الله، لكن باختيار خلقه، فكيف يكون المتجه في بيوت الله التي هي من اختيار خلق الله؟! شاء الله أن يجعل بيوت الله في الأمكنة جميعها التي اختارها خلقه ليعبدوه فيها، وأن تتجه إلى بيت اختاره لنفسه بنفسه، لذلك كانت الكعبة قبلة هذه البيوت جميعا؛ لأنها بيت الله باختيار الله، وبيوت الله جميعها باختيار خلقه، وما دام ذلك بيتا باختيار الله فلابد أن تكون البيوت باختيار خلق الله تابعة في المتجه لبيت اختاره الله.

وإذا اجتمعت الخصوصيات في الحدث والزمان والمكان، وجدت خواص الخير كله، وقد سمعتم أخي القارئ يقرأ قول الله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ (الحج:٦)، تلك هي قضية الوجود الأولى التي يجب أن يشغل بها العقل الإنساني أولا، لا العقل الإيماني؛ لأن العقل الإيماني قد ارتبط والتزم بإلهه، أما العقل الإنساني غير المرتبط بالإله فيجب أن يبحث في الكون نفسه؛ ليربط نفسه بذلك الإله، وإن لم يفعل ذلك كان عقله هباء، وحياته كلها ضياعا؛ لأنه ينظر في نفس، فيجده خلقا من خلق الله يقوى على شيء ويعجز عن أشياء، ويعرف شيئا ويجهل أشياء، ويقهر على أشياء ويختار شيئا، إذن: فتلك آلة معقدة، ولغز كوني، يجب أن يبحث لنفسه عن حل، ما

ولد محمد متولي الشعراوي في (١٦) إبريل سنة (١٩١١م) بقرية دقادوس، مركز ميت غمر بمحافظة الدقهلية، وحفظ القرآن الكريم في قريته، وتلقى التعليم الديني بمعهد الزقازيق، فكلية اللغة العربية بالأزهر، حتى حصل على الشهادة العالمية سنة (١٩٤١م)، وبعدها نال إجازة التدريس سنة (١٩٤٣م)، وعين مدرسا بمعهد طنطا الأزهري ثم معهد الإسكندرية ثم معهد الزقازيق، وأعير للعمل بالسعودية سنة (١٩٥٠م) مدرسا بجامعة الملك عبد العزيز، وعاد إلى مصر ليكون وكيلا لمعهد طنطا سنة (١٩٦٠م)، فمديرا للدعوة الإسلامية بوزارة الأوقاف سنة (١٩٦١م)، فمفتشا للعلوم العربية بالأزهر سنة (١٩٦٢م)، فرئيسا لبعثة الأزهر بالجزائر سنة (١٩٦٦م)، فأستاذا زائرا بجامعة الملك عبدالعزيز سنة (١٩٧٠م)، فرئيسا لقسم الدراسات العليا بها سنة (١٩٧٢م)، وعاد إلى مصر، وقد طار صيته العلمي فعُيِّن وزيرا للأوقاف سنة (١٩٨٠م)، فعضوا بمجمع البحوث الإسلامية سنة (١٩٨٠م)، وانتخب عضوا بمجمع اللغة العربية سنة (١٩٨٨م).

كان الأستاذ محمد متولي الشعراوي ظاهرة علمية فريدة، حيث تألق نجمه فجأة بعد الخمسين فجذب الأنظار إليه على نحو غير معهود، وتناقل حديثه الخاصة والعامة معا؛ إذ استطاع أن يرضي الجانبين بما رزق من وضوح الأسلوب وقوة الحجاج، وقد تهافتت الإذاعات المرئية والمسموعة في شتى بقاع العالم العربي على تسجيل دروسه الأسبوعية.

كما تطلعت دور النشر إلى طبع مؤلفاته على أوسع نطاق، وكان اسمه يسبق مقدمه في الرحلات التي قام بها داخل العالم العربي وخارجه، مما لم يقدر لغيره على هذا النحو المنفرد؛ وذلك لأن الرجل جمع من مواهب

الذي جعله قادرا على بعض الأشياء وعاجزا عن بعض آخر؟! ما الذي جعله مقهورا على بعض الأشياء ومختارا في بعض الأشياء؟! ما الذي جعله يعلم أشياء، ويسأل عن أشياء؟! لو أنه بطبيعته صالح لأن يعلم لعَلِم كل شيء، ولو أنه بطبيعته صالح لئلا يعلم لجَهِل كل شيء، ولو أنه صالح بطبيعته لأن يختار لما قهرته الأحداث على شيء، ولو أنه صالح بذاته لأن يكون قادرا على كل شيء لما عجز عن شيء، لكن واقع الحياة في الناس يدل على أنهم إن قدروا مرة فقد عجزوا، وإن علموا مرة فقد جهلوا، وإن اختاروا مرة فقد قهروا، فوجب على العقل أن يبحث عن هذه القوة التي تأتي عليه بأفعال لا يستطيع دفعها، وتعلمه أشياء لا يستطيع حسها ولا إدراكها، وتقهره على أشياء لا يستطيع دفعها مهما أوتي من قوة، كل ذلك يجعل العقل المجرد عن الإيمان يجب أن يبحث له عن مهمة في هذا الوجود؛ حتى يحل لغز نفسه، وإن لم يحل لغز نفسه يكون قد جهل نفسه، وما دام قد جهلها فلا تنتظروا له خيرا؛ لا في الدنيا ولا في الآخرة، فكيف ينظر الإنسان ليحل هذا اللغز؟ يقول: لماذا أقدر وأعجز، وأعرف وأجهل، وأقهر ولما أختر؟ ولماذا لم أكن على لون واحد من هذه الأشياء؟ حين يتجه العقل ليبحث ويحل هذا اللغز لا يجد أمامه علما استقرائيا يقنعه إلا العلم المادي الذي يعيشه، والأمور المحسة التي يراها، فمنها ينطلق الاستدلال على وجود هذه القوة التي تقدر على ما لا يقدر عليه، وتقهره على ما لا يختار، وتعلمه ما لا يعلم، حين يهتدي إلى هذه القوة بنظره في الكون نقول له: ما الكون؟! الكون باستقراء الطبيعيين والماديين أجناس، كل جنس له خاصية ومهمة ورسالة يؤديها، لكن أجناسا تعلو على أجناس في الخواص والمهمات؛ فأدنى الأجناس في الكون الجمادات، فإذا شاء الله لجماد من الجمادات أن يعطيه النمو صار جنسا آخر اسمه: النبات، تميز عن الجماد فقط بظاهرة النمو، ثم يجيء جنس أعلى من النبات، فيميزه الله بخاصية، هي خاصية الحس والحركة، فيأتي عالم الحيوان، ثم يجد جنسا آخر أعلى من هذه الأجناس، فيه من المادة خواصها، ومن النبات خواصه، ومن الحيوان خواصه، لكنه يمتاز بشيء آخر؛ هو ذلك الفكر، ومهمته أن يختار بين البديلات، أما الذي لا بديل له فلا عمل فيه للفكر البتة، إنما عمل الفكر في الشيء الذي له بديل.

إذن: فالإنسان أرقى هذه الأجناس؛ لأنه امتاز عن الحيوان بالفكر، والحيوان ممتاز من النبات بظاهرة الحس والحركة، والنبات ممتاز من الجماد بظاهرة النمو، والجماد هو أدنى هذه الأجناس، وما دام الإنسان ممتازا من الأجناس جميعها فهو سيدها جميعا؛ سيد الحيوان والنبات والجماد، فهل صنع هذه السيادة لنفسه بقوته وقدرته؟ لا، كان يجب عليه أن ينظر بفكره ليعرف من الذي صنع هذه الأشياء له؛ ليستمتع بها وينتفع، وهو عاجز حتى عن إدراك معناها، نحن لم ندرك الشمس وانتفعنا بها، ولم ندرك القمر، وإن كنا قد أدركناه صعودا، فنحن لا نعرف تكوينه، ومع ذلك انتفعنا به طوال هذه الملايين من السنين، فوجب على العقل أن يبحث عن مهمة، الجماد له مهمة؛ إنه يغذي النبات والحيوان والإنسان، والنبات له مهمة؛ إنه يغذي الحيوان والإنسان، والحيوان في خدمة الإنسان، فما مهمتك أيها الإنسان؟! هنا نقف لنسأل الإنسان المكرم: ما مهمتك وخدمتك وعملك في الكون؟ إن لم تبحث لنفسك عن مهمة فسيكون الجماد والنبات والحيوان خيرا منك، لذلك وجب عليك أن تبحث لنفسك عن مهمة، وإلا كنت أتفه شيء في هذا الوجود.

إذا كانت مهمة الجماد قد ارتبطت بأجناس أعلى منه؛ وهي النبات والحيوان والإنسان، ومهمة النبات ارتبطت بنوعين أعلى منه؛ وهما الحيوان والإنسان، ومهمة الحيوان ارتبطت بالإنسان، فيجب أيضا أن تتسامى أنت في مهمتك وترتبط بقوة أعلى من هذه القوى كلها. ابحث عنها جيدا، وافتح أذنك جيدا؛ حتى إذا سمعت مبلغا عن الله معرفا لذاتك بالله فعض عليه بالنواجذ؛ لأنه هداك إلى الضالة التي كنت تنشدها، أما إذا عزفت عن ذلك فستظل إنسانا تافها مغمورا، وحين تنفض عنك الحياة الدنيا تلقى الجزاء الأخير الذي لا راد له.

إذن: فمهمة الإنسان أولا: أن يبحث عن موقعه في الكون، مهمته في الوجود، وعليه أن يبحث ثانيا، نقول له: أأنت سخرت الجماد لخدمتك؟! فيجيب: ليست لي قوة أسخر بها الجماد؛ لأنني لم أعرف تكوين عناصره، ولا أعرف كيف أستخدمها. فنسأل: هل سخرت النبات لخدمتك؟ يقول: لا أعرف. فنسأل: أأنت سخرت الحيوان لخدمتك؟ يكون الجواب: لا أقدر. إذن: فمن الذي سخر لك هذه الأشياء؟! لابد أن تكون هناك قوة أقوى منك ومن هذه الأجناس، أخضعت الأجناس كلها؛ لتكون في خدمتك، وأنت يجب عليك إيمانيا أن تبحث لك عن مهمة، لابد أن تكون مهمتك مع القوة التي سخرت لك ما لا تقدر عليه، وحين تنتهي إلى هذه القوة تنظر في الكون نظرة أخرى، هي التي عرضها الحق سبحانه وتعالى فيما قرأ أخي وزميلي، قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (الحج:١٨) هذه غيبيات، والمقصودون هم الملائكة والجن، ونحن -المؤمنين- لا نراهم، لكنهم ساجدون خاضعون لله، والشمس والقمر والنجوم والجبال هي أجناس الجماد، والجنس الثاني هو النبات، والجنس الثالث هو الدواب أو الحيوان، وأجناس الوجود هذه جميعها خاضعة لله؛ ما وجدنا ترابا تأبى على حامله، وأرضا امتنعت من إعطاء الزرع حين توضع فيها البذرة وتسقى بالماء، كلها مسخرة لقوانين الحق، وما رأينا نباتا امتنع من انتفاعك به، وما رأينا حيوانا شرد عنك ونز[1] ولم يسخر لك.

كل شيء في الكون من الأجناس مسخر لما خلقه الله، ولكن للأسف كان الانقسام عند الناس، والإجماع في الأجناس التي كانت قبل الإنسان، وهي الشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب، ولكن الانقسام حصل في الناس فقط، فقال الله: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾، ﴿وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ (الحج:١٨).

في الكون خصمان من أرقى أجناسه، ينحدران من واحد هو الإنسان نفسه، وهما: المؤمن والكافر، فكثير من الناس خضعوا لله، وهم المؤمنون والطائعون، وكثير منهم لم يخضعوا لله، وهم الكافرون والعاصون والمتمردون، فهذان خصمان اختصما في ربهم، وكان من الواجب بداهة أن يكون عندهم إجماع على الحق والخضوع لمنهج الله، وهذا تكريم للإنسان الذي خلق بفكر، والفكر يختار بين البديلات، فربما يغلبه هواه وتغلبه نفسه، فتنطمس معالم الحق في نظره، فيؤثر شهوة نفسه على طاعة الله، ويؤثر زائل الدنيا على خالد الآخرة، وهو في ذلك إنسان عقله تافه؛ لأن أقل مبادئ النفعية -كما قال العلماء- أن تنظر إلى نفع الشيء؛ هل هو نفع طويل وعال في كميته ومتيقن، أم قصير وضئيل وغير متيقن؟ فالتاجر حين يشتري صفقة من الصفقات متأكد تماما، أو يغلب على ظنه أنه سيأتي بأكثر مما أعطى في الثمن، ولو لم تكن في باله تلك النفعية لجبن عن التجارة، والحق سبحانه وتعالى قدر على البشرية، فجعل الربح والمكسب سوطا يلهب الإنسان؛ ليتحرك في الحياة، ولو لم يقدر ذلك لما صنع الإنسان شيئا، ولذلك إذا أردت أن تفاضل بين اثنين وفق قانون النفعية فقس أيهما أنفع وأبقى زمانا وأكثر كما وتيقنا.

إذا نظرت إلى هذه الدنيا مهما كانت طويلة -والبحث هنا ليس في فنائها، ولكن في دنياك أنت- ستجد أنه ليس لك منها إلا عمرك فيها، فالدنيا في قياس ذاتك منتهية؛ لأن الذي يبقى لغيرك لا صلة لك به، وستقول: دنيا ستمتد لواحد غيري بعدي، فهي عندي عمري فيها، فمثلا: لو كان مدى عمرك فيها ومتوسطه سبعين عاما فهي محدودة، ولكنها غير متيقنة؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يتيقن أنه سيعيش سبعين عاما مظنونة، فمدة الدنيا محدودة وغير متيقنة؛ لأن من الجائز أن يموت الإنسان وسنه يوم، أو يموت وسنه عشرون، فالمدة غير متيقنة، ونعيمك في دنياك على قدر ما تملك من إمكانيات، يزداد بازديادها وينقص بنقصانها، فلو قارنت بين الدنيا محدودة الأجل والآخرة غير محدودة الأجل لوجدت صفقة الدنيا خاسرة، ولو قارنت بين الدنيا والآخرة لوجدت أن الدنيا مظنونة؛ نظرا لمتوسط الأعمار، وأن الآخرة متيقنة، فهي إذن مقارنة بين صفقة متيقنة وصفقة مظنونة، كأنك تقارن بين صفقة منتهية وصفقة غير منتهية، وفي مقارنة أخرى بين إمكانياتك وإمكانيات الله ستجد أنه شتان ما بينهما، وفي ظل هذه المقارنات ستجد أن الذين يؤمنون بالله ويؤثرون الآخرة هم أذكى الناس في التجارة؛ لأنهم عرفوا كيف يبدلون غير المحدود بالمحدود، وغير المتيقن بالمتيقن، وكيف يبيعون إمكانياتهم ويأخذون ويشترون إمكانيات الله، وهم بذلك الكيسة والعقلاء، وهذا ما يفسر طرح الله هذه القضية في معيار التجارة، فيقول: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١)؛ لأنهم

الإقناع إلقاء وتعبيرا، وتفهما لنفسيات المستعمين ما جعله مطمع الأنظار، وحين لقي ربه في (٢٢) صفر سنة (١٤١٩هـ) الموافق (١٧) يونيو سنة (١٩٩٨م) ودعه الجمهور بما فاق كل تصور في التشييع، ودفن بقرية دقادوس مسقط رأسه.

كانت دروس التفسير هي العماد الأول لنشر أفكاره الدينية، والاجتماعية، والخلقية، وقد صادفت ذيوعا مستفيضا بما سلكه من منهج في إلقائها؛ إذ يسوق أفكاره متناسقة متسلسلة، ويجعلها شبيهة بالقضايا المنطقية ذات النتائج الملزمة دون غموض، فإذا اتضحت القضية أيدها بالنص القرآني المحكم، فيكون بعد الاقتناع السابق دليلا ملزما لا يقبل النقض، وقد أخذ عليه استطراده في بعض الأحيان، وهو نوع من التشويق يرضي الكثرة التي ترحب بالطرائف النادرة، وحين جمع تفسيره في مجلدات متتالية حذف الاستطرادات، ومضى التفسير على سننه المعهود، وقد أوجد الشيخ بهذه الدروس ذات الإقبال الكاسح جامعة علمية شعبية، تنتقل إلى المشاهدين في منازلهم، فتعطيهم الدروس الشافية، وكأنهم يجلسون في معهد علمي.

كان تفسير الإمام الشعراوي ركنا قويا من أركان الرسوخ الإيماني في قلوب المسلمين، ومن مزاياه أن الشيخ اتصل بشذور من علوم النفس والتربية والاجتماع والعلوم الحديثة فاعتملت في نفسه، وساقها في طيات الشرح، فاقتنع بها المنصتون.

وكانت قضايا المجتمع الإسلامي شغله الشاغل في درس التفسير، فكل ما تعج به الصحف من قضايا المرأة والشيوعية والرأسمالية والوجودية كان مجال تفكير الشيخ، فهو يلتمس المناسبة في الآية الكريمة، ويشن النقد الجارح على من يحاولون تجاهل النص القرآني، موضحا أنهم بسلوكهم المخطئ ليسوا مع المنطق في شيء، وقد خاصم الشيخ رؤوس التفكير المارق علنا، فاضطروا إلى السكوت عما يأفكون، بعد أن دعاهم للمناظرة علنا أمام الجمهور، فعلموا أن الموقف الفصل وما هو بالهزل، فتراجعوا صامتين.

وقد رزقه الله من حسن الاستنباط وعمق التحليل ما قمع كل ضلال، وضرب المثل لذلك

دخلوا في تجارة رابحة، وقد سماها الله تجارة؛ لأنه يعلم حرص الإنسان على النفع والكسب، فيقول له: ﴿هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ (الصف:١٠،١١)؛ أي: إذا كنت تحرص على النفع والكسب فأنا أدلك على تجارة خير من تجارتك.

فالكيس من اتجر هذه التجارة وعرف كيف يضع حركة حياته ومجهوده في شيء نافع، أما الذين ينظرون إلى زخرف الحياة، فنقول لهم: أنتم قصار النظر؛ لأنكم اتجرتم بالمحدود غير المتيقن على قدر إمكانياتكم، ولكنكم تركتم صفقة أعلى، غير محدودة ومتيقنة على قدر إمكانيات الله، وبهذا يكون المؤمنون هم المفلحون، وقد عرض القرآن هذه المسألة بقوله تعالى: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡۖ﴾ (الحج:١٩)، ثم فصل فقال في الفريق الأول: ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قُطِّعَتۡ لَهُمۡ ثِيَابٞ مِّن نَّارٖ يُصَبُّ مِن فَوۡقِ رُءُوسِهِمُ ٱلۡحَمِيمُ ۝١٩ يُصۡهَرُ بِهِۦ مَا فِي بُطُونِهِمۡ وَٱلۡجُلُودُ ۝٢٠ وَلَهُم مَّقَٰمِعُ مِنۡ حَدِيدٖ ۝٢١﴾ (الحج:١٩-٢١)، وقال في الفريق الثاني: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (الحج:٢٣)، وبذلك يكون الدين قد دلك على الصفقة الناجحة الرابحة؛ لذلك أقول: لا يظن ظان أن الدين جاء ليحدد حركته في الحياة، إن الدين يحدد حركتك؛ لأنك قد تتحرك حركة طائشة مجنونة كما يتحرك كثير من الناس، وهو يريد منك أن تتحرك حركة حازمة عالمة لا يأتي بعدها ندم وإنما خير، وكان من حكمة الحق سبحانه وتعالى عرض هذه المسألة.

حين نستقرئ الكون لا نجد عذرا لنا في الكفر؛ لأن سر الحياة والإحياء أوقف العقول عنده حيرى إلى الآن، في الحقيقة يستطيع الصناع من البشر أن يصنعوا آلات؛ يأخذون من مادة الأرض المخلوقة لله، ويعملون طاقتهم وفكرهم المخلوقين لله؛ لينتجوا هذه الآلات من صناعتهم، ولكن هل تحقق هذه الآلات ضرورة من ضرورات الحياة؟ إنها تحقق فقط طرفا من ترف الحياة، فمثلا: كوب الماء الذي نشربه يحقق طرفا من ترف الحياة دون ضروراتها التي لا عمل للإنسان فيها؛ لأنه عاجز عنها، فكأن الحق حينما خلق الإنسان وضمن له ضروريات حياته بقيوميته، ضمن بذلك بقاء عناصر وجوده، كالطعام والشراب والهواء، وهي ضرورات الحياة ذاتها، أما ما كان غير ذلك فهو من كماليات الحياة؛ لأن الناس قد عاشوا بغير ميكرفون وتلفاز، وبغير علم بالكهرباء، ومع ذلك عاشوا سعيدين، فإذا أردتم أن تسعدوا نفوسكم فأعملوا عقولكم المخلوقة لله في المادة التي خلقها الله لكم، وبعد ذلك استنبطوا من أسرار الوجود ما يعينكم على أمر حياتكم، أما ضرورات الحياة فقد ضمنها الله لكم دون عمل منكم.

وإذا نظرت إلى فلسفة القوت في هذه الدنيا تجد أن القوت يتسور حياة الإنسان المرهونة بطعام وشراب وهواء، وهنا قد يسأل سائل: ما عمل الإنسان في هذه العناصر؟ إن عمله في الطعام أكثر من عمله في الشراب، ولا يمكن القول: إن عمله في الشراب أكثر من عمله في الهواء؛ لأنه لا عمل له أبدا في الهواء، فغاية ما يصنعه حين يشرب أن يجعل الماء رائقا منقى من الأدران، ولذلك تجد الحق سبحانه وتعالى حينما تكلم على مسائل القوت وضمان الحياة في الكون يلفتك لفتة دقيقة إلى أنه لم يأمنك على أخيك، ولم يأمن أخاك عليك، وجعل قوام الحياة الضرورية من عمله هو، وجعل للإنسان نصيبا من العمل وفقا لحاجة الإنسان الذي قال عنه العلماء: إنه يستطيع أن يصبر دون قوت ثلاثين يوما حسب الشحم في جسده، ويصبر على الماء من ثلاثة أيام إلى عشرة، فحاجة الإنسان إلى الماء أقوى من حاجته إلى الطعام، ولذلك كان احتكار الطعام وملكه بالنسبة إلى الإنسان أكثر من احتكار الماء؛ لأنك ما دمت تصبر على الطعام شهرا فمن الجائز أن يحتكر شخص الطعام، ويمنعك منه ويتركك تعيش شهرا، وأنت هنا تستطيع أن تحتال وتجعله يعطف عليك، وتستطيع أي قوة أخرى أن تعينك وتساعدك، ولكن صبرك على الماء أقل؛ وهذا لا يملك إلا نادرا، فيبقى مشاعا، ولكن العنصر الأساسي في بقاء الحياة هو الهواء الذي لا تقوى على تركه لحظة واحدة، ولهذا لم يملكه الله لأحد، ولم يجعل لأحد استطاعة احتكاره، وجعل نصيب الغني فيه كنصيب الفقير، ونصيب القوي كنصيب العاجز، على قدر ما تتسع له رئته، وعلى قدر ما ينفذ من خياشيمه، يأخذ منه ما شاء؛ لأنه العنصر الضروري والأساسي في الكون، هب أن إنسانا غضب عليك وهو يملك الهواء فمنعه عنك، ففي الوقت الذي يستغرقه حتى يرضى عنك تكون قد مت، ولكن إن غضب عليك فلم يعطك شرابا فستكون فيك طاقة لأن تعيش عشرة أيام، وإذا منع عنك طعاما ستكون فيك طاقة لتعيش ثلاثين يوما، حتى يأذن الله بالفرج، أو تحتال في صنع حاجة، إذن نجد في تملك الإنسان الهواء قتلا للأنفس وفسادا بالغا؛ لذلك لم يملك الله الهواء لأحد قط، وإن كان قد ملك بعض الماء والطعام.

وذلك كله من رحمة الله بخلقه، فكأن الحق سبحانه وتعالى لم يأمن الإنسان على أخيه الإنسان؛ حتى وإن كان الإنسان أخا الإنسان، فإن الله ربنا جميعا، والرب أرحم من الأخ؛ لذلك حينما شغل رسول الله ﷺ بأمر أمته قال الله: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ أَلَّا يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ﴾ (الشعراء:٣)؛ أي: لو أردت يامحمد لجعلت أمر أمتك بيدك ما دمت مشغولا بها هذا الشغل وتحبها هذا الحب، فيقول الرسول ﷺ: يا رب، لا، لا، أنت أرحم بهم مني؛ لأنه رب، ومحمد أخ للمؤمنين، فلم يقبل أن يكون أمر أمته بيده، ورأى أن يكون الأمر باقيا في يد

الرب؛ لأنه الرحمن الرحيم.

إذا نظر الإنسان في الكون نظرة فاحصة عاقلة تقدمية لا نظرة رجعية فسيقول كما يقول التقدميون: إنه يريد أن يرفهنا إن صدق، ولكن الإيمان يجعلني في دنيا أخرى فوق هذه الدنيا، وفي مستوى أعلى من مستواها، إنني في دنياي هذه أعيش بأسباب الله، ولكنني في الآخرة أعيش بكلمة «كن» من الله، وأنت تعيش في دنياك بدخلك ومجهودك في دولة الأسباب التي من الممكن جدا أن يتقدم العالم فيها ويرتقي، حتى إذا ما أراد إنسان أن يأكل لحما يضع يده على زر كهربائي فيأتيه، وإذا أراد أكل فاكهة يضع يده على زر الفاكهة فتأتيه، وإذا أراد شرب القهوة يضع يده على زر القهوة فتأتيه، من الممكن أيضا أن يتقدم البشر إلى حد أبعد من هذا وإلى درجة أن يخطر في بال الإنسان أن يأكل اللحم وهو جالس في مكانه فيأتيه؟! أيمكن للإنسانية أن تتقدم ماديا إلى هذا الوضع؟ لا يمكن، ولكنها في الآخرة تعيش بمحض الخاطر الذي يخطر على بالها، فهل هناك تقدمية أرقى من هذه؟!

إن تقدميتهم لابد فيها من الآلية والعمل والشحن بيد إنسان يعمل، أما في الآخرة فشأن آخر، فمتى خطر أي شيء على بالك تجده أمامك، وتلك تقدمية ليس بعدها تقدمية أبدا في الوجود، ولن تصل عقول البشر إلى تقدمية مثل هذه أبدا.

ربما أراد بعض الناس أن يصدوا المسلمين عن دينهم فقالوا: إنه دين رجعي، نقول لهم: إن الرجعية لا تذم في ذاتها؛ لذلك علينا أن ننظر فيها أهي رجعية إلى الخير؟ فإن كانت كذلك هل تكون رجعيتنا شرا؟! طبعا لا، إن كانت الرجعية إلى الخير فهي خير، إن هؤلاء الناس يريدون أن يصفوا أفكارنا بالرجعية، ويصفوا أفكارهم بالتقدمية، ونحن نسألهم: ماذا تقصدون بالتقدم؟ وماذا تصنعون؟ أترفهون الحياة؟! وماذا يكون بعد ذلك؟ وأين أنتم من الصفقة الثانية؟! لماذا أغفلتموها؟!

وإذا ما استعرضنا رقعة الأرض وجدناها أعصابا مشدودة، ودماء فائرة، وأفكارا ثائرة، وقوى متصارعة، وحربا حامية أو باردة، فما هذا الجنون الذي يسيطر على العالم؟! إن العالم قد فقد المنهج الذي يزن أموره ويحقق له أمنه وسعادته؛ لذلك يعذر الملحدون في ابتكارهم القوانين بعقولهم، ويعذر الغرب الذي حرف دين الله في ذلك أيضا، ولكن ما عذر المسلمين في المشي وراء هؤلاء؟! هؤلاء ملحدون لا يعرفون ربا، وليس عندهم منهج من مناهج الحياة، ولكن المسلم عنده منهج الله الذي صنعه وخلقه، وقد سبق القول: إن أقل مبادئ الإنصاف تقتضي أن صانع الصنعة هو الذي يحدد قانون صيانتها، فمن يصنع الصنعة يقول لك: تصونها بكذا وكذا، أما أن يصنع صانع صنعة ويأتي غيره ليحدد قانون صيانتها في الكتالوج[٢] فهذا خطأ؛ لأن الذي يحدد قانون صيانة الصنعة هو صانعها، والإنسان صنع الله وخلقه، لم يدع أحد لنفسه هذا الصنيع، وما دام الأمر كذلك فدعوا الله يقنن[٣] لذلك الإنسان بنفسه، فإن خلق الله ثم قننتم أنتم فستضطرب الأمور، وتقلق النفوس؛ لأن الإنسان لا يقنن إلا لما يعلمه، وأنت عرفت ملكة في النفس، وجهلت ملكات كثيرة، عرفت غريزة الجوع؛ فأعطيتها طعاما، وعرفت غريزة العقل؛ فأعطيتها فهما، ولكن ماذا عرفت عن النفس والعاطفة والغريزة في تحكمها في الإنسان وملكات الوجدان والتوكل

بما تحداه به أحدهم حين سأله بقوله: إن الله يقول عن نفسه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ﴾ (لقمان:٣٤)، ونحن الآن نعرف ما في الأرحام بالكشف الإشعاعي، فرد الشيخ في رسوخ: ومن قال إن علم الأرحام مقصور على الذكورة والأنوثة فحسب؟! ألا يتضمن هذا العلم هيئة الولد، ولونه، وحالته التي سيكون عليها، شقيا أو سعيدا، ممتد العمر أم مختزله، هادئ النفس أو منفعلا؟! ويسمع المعترض فيصمت.

وقد تواضع الشيخ حين كرر أن ما يلقيه من الدروس ليس تفسيرا للقرآن، ولكنه خواطر إيمانية، تفد على قلب المؤمن، فيفصح بما جاش في خاطره، ولو أن القرآن يمكن تفسيره بما تمناه الله دون نقص لكان الرسول ﷺ أولى بتفسيره، لكنه يبين للناس ما يفيدهم على قدر حاجتهم.

وهذا احتياط إيماني لا يمنع أن نقول: إن هذه الخواطر من صميم التفسير؛ لأنها تدور في فلك الكتاب المبين.

وقد تحدث الشيخ عن الإعجاز القرآني فقرر أنه لا يكون في السورة أو الآية أو الكلمة فحسب، بل في كل حرف، واستشهد لذلك بما يؤيد منحاه، كما قرر أن القرآن كتاب الزمن والإعجاز بتوالي العصور، وسيجد من وجوهه في الغد ما لا نعرفه اليوم.

ومن أعظم ما كتبه الأستاذ كتاب «رد على الملاحدة والعلمانيين»، وفيه قرر أن العلمانية ازدهرت في أوروبا؛ لأن الكنيسة تحكمت في الناس، أما الإسلام فليس في حاجة إليها؛ إذ ليس لدينا تسلط كنسي، وليس لدينا حجر على الفكر، وإذا كانت الكنيسة بسيطرتها قد عاقت التقدم الفكري، فالإسلام بسماحته وعدالته قد حمى الحرية، وترك للعلم أن يغزو الكون بما يكشف عن مخبآته، وأعلام الأمة في العصور الزاهرة هم الذين رفعوا الحضارة الإنسانية في بغداد والقاهرة وقرطبة حين كانت أوروبا غارقة في الظلمات، والذي يقرأ هذا الكتاب يجده قد صحح مفهوم العقيدة، ثم انتقل إلى المذاهب المعاصرة فحاربها بسلاح لا يفل.

وختم القول بالحديث عن قضية المرأة في الإسلام، فأوضح كيف صان هذا الدين كرامتها،

والوحي؟! إنك لم تعرف شيئا عن ذلك كله، فكيف تقنن لصنعة لا تعرف تكوينها؟!

فدخول الإنسان إلى ذاته ليقنن لنفسه عبث؛ لذلك الذي يقنن للإنسان يجب أن يكون خالقه، وسيظل العالم في التراب إلى أن يعود إلى رشده، ويعرف أنه لا يمكن أن يستقيم أمره إلا إذا رد قانون صيانة الإنسان إلى خالق الإنسان.

لما حرفت النصرانية واليهودية كتبها كانوا معذورين في ضلالهم وبحثهم، أما المؤمنون فلا عذر لهم؛ لأن عندهم المنهج الموثق، وعلى الرغم من ذلك ضلوا عنه، أفلا يكون عجيبا أن يطلب إلينا أن نبشر بديننا عند هؤلاء؟! قبل أن نبشر غير المسلمين بالإسلام؟! علينا أولا أن نثبت الإسلام في نفوس المسلمين، ليصبح كل مسلم أنموذجا تطبيقيا لمنهج الله: في حركاته وسكناته وكل أعماله، فيلفت بهذا السلوك أنظار العالم، فإذا تساءلوا: لماذا هو كذلك؟ يجابون: لأنه مسلم. فيلفتهم ذلك إلى الإسلام، وهنا يحضرنا دعاء سيدنا إبراهيم عليه السلام الوارد في القرآن الكريم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الممتحنة:٥)، أيعقل أن يكون سيدنا إبراهيم أبو الرسل فتنة للكافرين؟! نعم، حين يقول: أنا رسول، ومنهج الله كذا وكذا، ثم لا يكون صورة تطبيقية للمنهج يقول الناس: لو كان هذا يصدق منهجه لعمل به، وكذلك نظر الناس إلى الإسلام، ورأوه في أفعال المسلمين، فهم لا يقرؤون عن الإسلام، بل يرون المسلمين.

في السابق كان المسلم المطبق لمنهج الله يذهب إلى أي بقعة من بقاع الأرض التي لا تعرف لغته؛ لأنه لا يخاطبها بها، ولكنها تعرف سلوكه وسمته وورعه ومنهجه في الحياة، فيعجبها ذلك السمت[٤] والورع والمنهج، وتسأله عنه، فيقول: هذا ديني، الإسلام يأمرني بكذا، فيلتفت هؤلاء إلى الإسلام ليبحثوا فيه، فلا يرون من المسلمين إلا اسمهم فقط؛ لأنهم في مضمونهم بعيدون من منهج الإسلام، فيقولون: لو كان في الإسلام خير لما تأخر هؤلاء؛ لأنهم يظنون أن كل مسلم سلوكه إسلامي، وهم مخطئون بذلك؛ لأنهم لا يفرقون بين الإسلام والمسلمين، فالإسلام أصبح اسما، ونحن نريده الآن وصفا؛ لأنه أيا كان المسلم فمنهجه وزمامه لربه، وبهذا يكون حجة على الإسلام، ولذلك يقول الحق سبحانه وتعالى؛ ليدلنا على هذا المنهج المتبع في الدعوة: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ (فصلت:٣٣)، فالمسلم يجد سر توفيقه في إسلامه.

حين دخل يوسف عليه السلام السجن، ودخل معه فتيان، لجآ إليه وطلبا تأويل رؤيا لهما، فقال الله عز وجل فيهما: ﴿قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ﴾ (يوسف:٣٦)، والسؤال هنا: ما الذي جعل السجينين يلجآن إلى يوسف ويقولان له: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾؟!

من المؤكد أنهما جلسا ينظران إلى حركات يوسف وتصرفاته وأفعاله، فوجداها أفعالا جميلة، إذن: حتى المنحرف يحب المحسن في عمله، فالكاذب يحترم الصادق، والخائن يحترم الأمين، لأن القيم هي القيم ثابتة باقية؛ ولما آلت المسألة إلى أمر يتعلق بهما لم يخدعا نفسيهما، وذهبا إلى يوسف وقالا: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، لكن كيف سيكون رد يوسف؟! أيجيبهما دون أن يكترث لأمرهما؟ هذا ليس من شأن الداعية، وإنما من شأن الداعية أن ينتهز الفرصة لدعوته؛ لذلك قال في نفسه: هما محتاجان إليَّ الآن؛ لأن الأمر يتعلق بهما، ويريدان أن يعرفا تأويل رؤياهما، وهذه فرصة للدعوة إلى الله، لاسيما بعد أن قالا فيه: ﴿إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾، فما عساهم قد عرفوا من إحسانه؟! هل رأوا منه أدبا وسلوكا مهذبا وسمتا طيبا ولسانا عفا؟! وهل هذا كل ما عنده؟! إن عنده من الإحسان ما لا يعلمانه، يخبرهما بغيبياتهما، وينبئهما بما يأكلان غدا من الطعام، قال الله في ذلك: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِۦٓ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِۦ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا﴾ (يوسف:٣٧)، وفوق ذلك عنده كنوز إحسان قوي كثيرة، ومع ذلك لم يدع لنفسه الغرور، فقال لهما: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾(يوسف:٣٧)، وبهذا يكون قد لفت القوم المنحرفين إلى مصدر العلم والحكمة دون أن يقدم نفسه، فلم يقل: أنا رجل فذ وعبقري وأصيل، وقال عوضا عن ذلك: ﴿ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ﴾؛ إيناسا لهما؛ حتى يدخلا في ذلك الدين، ويصيرا أيضا من المحسنين الذين يطلعهم الله على أسرار غيبه، وبفطنة وحنكة قدم لقضيته بقوله: ﴿إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ (يوسف:٣٧-٣٨)، وبعد ذلك يدخل في قضيته الأساسية، فيسأل: ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ (يوسف:٣٩)، فهل لقضيته علاقة بالرؤيا؟!

إن الرؤيا كانت سببا لجعل السجينين يحتاجان إلى يوسف، فانتهز الداعية الحق هذه الحاجة؛ لأن فكرهما وعواطفهما وإحساسهما وعقلهما سيبقون معه ما داما محتاجين إليه، فإذا عرفا الجواب عن الحاجة انفصلت الصلة بينهما وبين يوسف؛ لذلك انتهز الفرصة، وأخر حاجتهما، فهو يريد أن يقول لهما ما يريده هو، ولا يفسر الرؤيا إلا بثمن رباني، هو ثمن الدعوة إلى الله، منتهزا فرصة الحاجة، قائلا:

﴿ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ﴾؛ أي: إنني أعبد إلها واحدا، علمني وجعلكم تحكمون بأني محسن، وأنتم تعبدون آلهة متفرقين، فلم لا تذهبون إليهم؟! جئتم لتعرفوا أمركم من عبد إله واحد، وتركتم آلهتكم المتعددة، وأنتم تعلمون أنها لن تغنيكم شيئا؛ لذلك أتيتم إليَّ.

وبعد أن دعاهما إلى الله استثمر المعنى النفسي في نفس السجينين، وأجابهما عن مرادهما، فقال: ﴿يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسۡقِي رَبَّهُۥ خَمۡرٗاۖ وَأَمَّا ٱلۡأٓخَرُ فَيُصۡلَبُ فَتَأۡكُلُ ٱلطَّيۡرُ مِن رَّأۡسِهِۦۚ قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ﴾ (يوسف:٤١).

إن شأن الداعي إلى الله أن يدعو أولا بالأسوة السلوكية، حتى إذا ما التفت الناس إلى سلوكه وقوام منهجه وحركته في الحياة سألوا أنفسهم لماذا هو كذلك؟ فيجابون: لأنه مسلم مرتبط بمنهج إلهي إسلامي، يصنع حركته وفق مراد الله، وذلك سيجعلهم يبحثون عن الإسلام.

كان يقيم المسلم في كثير من بلدان العالم سفارات، فيهدي الشعوب البعيدة بسلوكه، أما اليوم فينظر أصحاب هذه البلاد الغربية أو الشرقية إلى السفارة المسلمة، فيجدون أن المسلمين قد ذهبوا إلى عاداتهم فأخذوها عنهم، ولم يستطيعوا أن يأخذوا إلى دينهم واحدا؛ لأن السلوك غير إسلامي، ولكي يكون السلوك إسلاميا يجب على كل واحد أن يكون في الخارج أنموذجا إسلاميا يلفت الناس غير الإسلاميين إلى منهج الإسلام، فالمسلمون هم الحجة على الإسلام اليوم، وما داموا كذلك فاللوم عليهم، وهم المسؤولون عن فتنة الكافرين عن ديننا، وانصراف الناس عن منهجنا؛ لذلك إذا أردنا أن نبشر بديننا فلا يجدي أن نقول: ديننا يقول كذا وكذا، وإنما نقول: ديننا هو الذي يجعلنا نفعل كذا وكذا، تلك هي الأسوة التطبيقية؛ ولذلك قبل أن نشغل بتبشير غير المسلمين بالإسلام يجب أن نعمل جاهدين لتثبيت الإسلام في نفوسنا.

وفقنا الله جميعا؛ حاكمين ومحكومين لجعل منهج الله مطبقا في كل صغيرة وكبيرة، وحتى نلفت إلى ديننا أعناق الدنيا وأبصارها؛ ليعلموا أنا لم نتخلف إلا حين أعرضنا عن ديننا، وأننا حين كنا متمسكين بديننا كنا سادة الدنيا طيلة ألف سنة، فإن أردنا أن نعود سادة الدنيا علينا أن نعود إلى ما كان عليه آباؤنا المسلمون الأوائل؛ لنكون الدولة الأولى في العالم.

وفقنا الله إلى منهجه، وأيد كل داع إلى الخير بدعوته، ووفقنا في كل ما نأتي وكل ما ندع، وجمعني الله وإياكم على خير ما يحب ويرضى، إنه سميع مجيب، والسلام عليكم ورحمة الله.

الهوامش

١- نز الظبي نزيزا: عدا وأسرع. انظر: تاج العروس، للزبيدي (١٥/٣٥١).

٢- الكتالوج: كتاب أو منشور مصور يحتوي على قائمة أو عرض لمنتج، ويتضمن عادة معلومات وصفية لهذا المنتج. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (٣/١٨٨٩).

٣- قنن المشرع: وضع القوانين ودونها. انظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار عمر (٣/١٨٦٤).

٤- السمت: الطريق. انظر: تاج العروس، للزبيدي (٤/٥٦٦).

ولم يجعلها خليلة تمتهن، بل زوجة ذات حق، ولها شخصيتها المالية التي تنكرها أكثر قوانين أوروبا الآن!

وباب الأسئلة والأجوبة يصور معدن الشعراوي الفقيه، حيث حفل بإجابات قاطعة لم تغرق في النقول الفقهية والتعريفات الاصطلاحية، بل اتجهت إلى العقل المباشر، تشرح له القضية، فإذا اتضح مدلولها جاء السند القرآني، أو الأثر النبوي مؤيدا الفتوى بما يوجب الاقتناع، وإذا كانت الأسئلة قد نشرت أولا على مدى سنوات في مجلة «حواء» مع الإجابة المقنعة فإن أكثرها قد دار حول المرأة، وقد جهر الأستاذ بحكم الإسلام في مجلة جاهرت كثيرا بما يخالف قول الله، ولكن الشيخ قد لقف الأباطيل فبددها، ولم تستطع المجلة أن توقف النشر؛ لأن السائلات والسائلين يطلبون رأي الشعراوي بالذات، وعلى يده فهمت قضية المرأة على وجهها الصحيح.

إن مؤلفات الرجل كثيرة موفورة، وقد طبعت طبعات عدة، فشرقت وغربت، وقدمت للقراء مكتبة مستنيرة صادقت هوى المخلصين، وأقنعت من حي عن بينة، وما زالت تطبع إلى الآن فتشفي صدور قوم مؤمنين، رحم الله الشيخ، وأنزله منازل الشرفاء من المجاهدين.

١- تفسير الشعراوي ظهر منه عن دار الأخبار أكثر من سبعة عشر مجلدا والبقية تأتي، وهو أوفى مرجع لآراء الإمام، ومنزلته منه كمنزلة (المنار) من مؤلفات السيد محمد رشيد رضا.

٢- القضاء والقدر.

٣- السحر.

٤- الربا.

٥- الرحلات.

٦- الغيب.

٧- قصص الأنبياء.

٨- قصص الحيوان في القرآن.

٩- معجزة القرآن.

١٠- الإسراء والمعراج.

١١- ١٠٠ سؤال وجواب.

١٢- رد على الملاحدة.

١٣- محمد صلى الله عليه وسلم.

١٤- خطب الشعراوي.

١٥- الخير والشر.

١٦- المرأة في القرآن الكريم.

١٧- شبهات وأباطيل.

١٨- الحلال والحرام.